

وداع عام واستقبال عام جديد

قال تعالى (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك). قالوا في شرح هذا الحديث ما معناه: لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تُحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه.

عباد الله: قبل أيام ودعنا عاماً واستقبلنا عاماً جديداً فهذه الشهور تمر بعد الشهور والأعوام بعد الأعوام وستمضي الشهور كلها وستمضي الأعوام كلها وتنقص الأعمار وكثير منا في سبات عميق. بل نجد أن منا من يفرحون بانقضاء عام، ولا يدرون أن هذا العام إنما هو صفحة من كتاب حياتهم طويت، إنما هي أوراق ذبلت في شجرة العمر. إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يدنى عن الأجل. فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل وما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يغنيه باليوم والشهر، يبييت ويضحى كل يوم بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر. كل يوم يمضي يقربك خطوة إلى قبرك.

أخي الحبيب: مهما عشت إلى الثمانين أو التسعين... وهب أنك تعيش مائة عام، فإنها مدة قصيرة. قيل لنوح عليه السلام وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، كيف رأيت الدنيا؟ قال: كداخل من باب وخارج من الآخر. فاتقوا الله أيها الإخوة والأخوات في أعماركم وانتبهوا إلى هذه الأيام والليالي وإلى الدقائق واللحظات فهي رأس مال العبد ونعمة من الله عز وجل انعم بها علينا. وقد أقسم الله عز وجل بالزمان فقد أقسم بالعصر والليل والنهار والضحى لبيان أهمية الزمان (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). وأقسم بالليل والنهار (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) وأقسم بالفجر وأقسم بالضحى (وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) كل هذا ليبين الله أهمية العمر الذي نعيشه.

عباد الله: ودلت السنة كذلك على أهمية الوقت وخطره قال p: لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه. فستُسأل يا أخي يوم القيامة سؤاليين عن الزمن: عن عمرك فيما أفنيتَه وعن شبابك فيما أبليتَه. وجاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال p: نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصحة والفراغ. (والمغبون هو الذي باع شيئاً بأقل من ثمنه أو اشترى شيئاً بأكثر من ثمنه). فالصحة والوقت نعمتان عظيمتان أكثرُ الناس لا يستفيد منهما ويضيعهما ثم يندم عليهما وقت لا ينفَع فيه الندم. فاعلم أن كل نَفَسٍ من أنفاس العمر جوهرة ثمينة، تستطيع أن تشتري بها كنزاً لا يفنى أبد الآباد. وإياك يا أخي أن تضيع هذه الجوهرة بالقليل والقال والغيبة والنميمة. علينا أن نستغل أعمارنا وأن نستثمر أوقاتنا، فالنبي p قال: من قال سبحان الله العظيم وبحمده عُرست له بها نخلة في الجنة. قال بعض السلف: بلغنا أن نخل الجنة ساقها من ذهب وسعفها من حُلل وثمارها أبيض من اللبن وألين من الزبد وأحلى من العسل والشهد.

عباد الله: التجارة الرابحة هي تجارة العبد مع ربه ورأس مالك هذا العمر وتلك الأنفاس التي قدرها الله لك وإنك لا تدري متى تذهب هذه الأنفاس فلا بد أن تعمرها بالأعمال الصالحات.

يا من بدنياه اشتعل... وغمره طول الأمل... الموت يأتي بغتة....

والقبر صندوق العمل...

قال الحسن: المبادرة المبادرة إنما هي الأنفاس، لو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل. لو حُبست انقطعت عنكم... ثم بكى على عدد

ذنوبه... ثم قرأ **(إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا)**. آخر العدد خروج نفسك... آخر العدد فراق
أهلك... آخر العدد دخول قبرك. فالله عز وجل قدر لنا عدداً محدوداً من الأنفاس
فكلما تنفس العبد نفساً سُجِّلَ عليه حتى يصل العبد إلى آخر العدد المقدر له, عند ذلك
يكون خروج النفس وفراق الأهل ودخول القبر. وينتقل العبد من دار العمل ولا
حساب إلى دار الحساب ولا عمل وفي ذلك الوقت يدرك الفاضل أهمية العمر
ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليس من أجل أن يجمع حطامها وشهواتها بل من أجل أن
يجتهد في طاعة الله عز وجل **(وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)
وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (وَلَوْ تَرَىٰ إِذُ الْمُجْرِمُونَ
نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)
(وَلَوْ تَرَىٰ إِذُ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ) (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ)**

اللهم اسمع قلوبنا..... أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين
استغفروا الله...

عباد الله: مضى عام من أعمارنا فهنيئاً لمن أحسن واستقام وويلٌ لمن أساء وارتكب
الإجرام. فتعالى يا أخي الحبيب ويا أختي الطيبة لنتساءل عن هذا العام كيف
قضيناه! فإن كان خيراً, حمدنا الله وشكرناه. وإن كان شراً, تبنا إلى الله واستغفرناه.
وليسأل كل واحدٍ منا نفسه عما فعل في العام الماضي فإن كان خيراً يسأل الله الثبات
ويزيد من عمله الصالح وإن كان غير ذلك اقلع عن الذنوب والمعاصي وتاب إلى
الله (واتبع السيئة الحسنة تمحها). ليحاسب كل واحد فينا نفسه عن فرائض الإسلام
وأدائها وعن حقوق العباد والتخلص منها وعن أمواله التي جمعها من أين جاءت
وكيف ينفقها.

أيها الأحبة: حاسبوا أنفسكم اليوم قبل الغد فإنكم لا تدرون ما يأتي به الغد. حاسبوها في ختام عامكم هذا فهذه السنوات خزائنكم التي تحفظ أعمالكم و عما قريب تفتح لكم فتجدون ما أودعتم فيها. روي أن رسول الله ﷺ خطب فقال: إن المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه. وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه إلى نفسه ومن دنياه إلى آخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت. وقال عمر بن الخطاب في خطبته: يا أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزن عليكم وتأهبوا للعرض الأكبر على الله **(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)**. وقال الفضيل لرجل: كم عمرك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله... توشك أن تصل. وكان أحد الصالحين، توبة بن الصمة، من المحاسبين لأنفسهم فحسب يوماً فإذا عمره ستون سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلي ألقى ربي بإحدى وعشرين ألف ذنب؟ كيف في كل يوم آلاف الذنوب؟ ثم خر مغشياً عليه. فإذا هو ميتٌ. فسمعوا قائلاً يقول: يا لها من ركضه إلى الفردوس الأعلى.

أخي الحبيب: حاسب نفسك كم صلاة أضعتها؟ كم جمعة تهاونت بها؟ كم صيام تركته؟ كم زكاة بخلت بها؟ كم أغضبت والديك ولم ترضهما؟ كم قسوت على ضعيف ولم ترحمه؟ كم من الناس ظلمت؟ كم من الناس اغتبت وشتمت؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

فاتق الله أخي الحبيب! فإذا أمضيت العام الماضي بالذنوب والمعاصي فعليك بالتوبة واستقبل ما بقي من حياتك بالعمل الصالح فإن إقامتك في هذه الدنيا محدودة وأيامك وأنفاسك محدودة. ولعله لم يبق من عمرك إلا ساعات أو أيام فكيف تقدم على ربك وأنت محمل بالأوزار والأثقال. **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ**

لِعَذَابٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)

عباد الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليماً.